Maalim
e-ISSN: 2600-6944 | p-ISSN: 2170-0052
Volume 19 Issue 1/ Juin 2026 PP. 289-308

The Algerian War (1954-1962)
Women in combat
Danièle Djamila Amrane Minne

Dr. Salah Eddine BENDRIMIA *
Université Mohamed El Bachir El Ibrahimi Bordj Bou Arreridj
salaheddine.bendrimia@uni-bba.dz

DOI: 10.33705/1111-019-001-016

Received: 29/01/2026
Accepted: 12/05/2026
Published: 30/06/2026

***Corresponding Author**

Citation :
BENDRIMIA,S. (2026).
The Algerian War (1954-1962)
Women in combat
Danièle Djamila Amrane Minne
Maalim
I(1), 289-308

Abstract:

This article is a translation of the first part of the book by the late mujahida Danièle Djamila Amrane Minne, entitled: La guerre d'Algérie (1954-1962): Femmes au combat (The Algerian War (1954-1962): Women Fighters).

Originally a doctoral thesis in which the author collected testimonies from female fighters who participated in the war of liberation, particularly in the Battle of Algiers, in which she herself played an active role. She sought to highlight the role of women in liberating the country and restoring the dignity of the Algerian people, a role that was ignored by writers, fighters and officials after independence. She showed that Algerian women were not only a support for men, but also an indispensable and effective element in the liberation revolution.

Keywords: Fighting, struggle, militantism, the Battle of Algiers, Liberation War, The Djamilas: heroines of the Battle of Algiers.

Maalim
© 2026 The Author(s).
Published by the High council of the Arabic language.
This is an open access article under the CC BY license

حَرْبُ الجزائر (1954-1962)
نِســـاءٌ مُقـاتِلات
دانييل جميلة عمران مــين

د. صلاح الدين بن دريميع
جامعة محمد البشير الإبراهيمي-برج بوعريريج، مخبر الدراسات اللغوية والأدبية المعاصرة-برج بوعريريج

الملخّص:

هذا المقال هو ترجمةٌ للجزء الأول من كتاب المجاهدة الرَّاحِلة دانيـيل جميلة عمـــران مـين (**Danièle Djamila Amrane Minne**)الموسوم بـ (**Femmes au combat**) : (1954-1962) (**La guerre d'Algérie**): حرب الجزائر (1954-1962): نساء مقاتلات. وهو في الأصل رسالة دكتوراه عَمِلَتِ الكاتبةُ المجاهدة فيه على جَمْعِ شهاداتِ مجاهداتٍ شارَكْنَ في حرب التحرير وبخاصَّةٍ في معركة الجزائر التي كانت هي طرفا فعّالاً فيها، وقد سَعَتْ إلى إبراز دور النساء في تحرير البلاد واسترجاع كرامة الشعب الجزائري، هذا الدور الذي تجاهَلَهُ الكُتَّابُ والمجاهدون والمسؤولون بعد الاستقلال، وقد بيّنت أنَّ المرأة الجزائرية لم تكن فقط سَنَداً للرَّجل بل كانت عنصراً فعّالاً لا يُسْتغنى عنه في ثورة التحرير.

الكلمات المفتاحيّة: القتال؛ الكفاح؛ النضال؛ معركة الجزائر؛ حرب التحرير؛ جميلات الجزائر.

مقدّمة: لا يكون المترجمُ مترجماً حقاً حتى يتصدَّى لعملٍ أدبيّ أو تاريخيّ أو عِلْمِيّ يترك أثراً ينشرُ به عِلماً أو يحكي بطولةً، وهذه هي الترجمة النبيلة التي ترفع المترجم وتُعلي شأن الترجمة وتعيد للعربية قيمتها وتقوّي الأمم وترتقي بها.

إنَّ هذا الكتابَ الذي بين أيدينا، قد تصدَّينا لتعريبه، وحَرَصْنا على نَقْلِ معانيه كاملةً كما لو أنه كُتِب بالعربية ابتداءً، وهو عملٌ جديرٌ بالتعريب لما يحمل من حقائقَ مبهرةٍ وبطولاتٍ تدعو إلى العِزَّةِ والافتخار، كيف لا وهو يتحدّث عن تضحيات شعبٍ أبيٍّ لم يرضخْ للاستعمار وسياسته، وللاستدمار ووسائله اللاَّإنسانية، ولم يستكن أمام جرائمه الفظيعة، منذ دَنَّسَتْ أقدامُه أرضَه الطَّاهرة، واعْتَدَتْ جيوشُه الجرَّارة على الأرض والعِرض، وأبادتْ جحافلُه المُجرِمة الملايينَ من الرِّجال والنِّساء والشُّيوخ والأطفال. وأحرقتْ الأرضَ وأهلكت الزَّرْعِ والحَرْث. ويروي شهاداتٍ لهذا الشعب المجاهد بالفطرة إبَّان ثورة التحرير المُظَفَّرة، ويسرد لنا وقائعَ عايشتها فئةٌ من فئات هذا الشعب المجاهد سنين مظلمة بالظلم، مُنيرة بالأمَل والعَمَل، ويحكي سنينَ من البؤس والجوع والصبر على الشدائد في سفوح الجبال، وخلف قُضبان السُّجون، وفي غياهب المغارات. تكبَّدتِ الجراحَ وقاتلتْ إلى آخر نَفَسٍ وآخرِ قطرةٍ من دمها. هذه الفئةُ التي بقيَتْ شبهَ منسيَّة لا يُتكلَّم عنها -كما تقول صاحبةُ الكتاب-إلاّ نادراً أو باحتشام. إنها فئةُ النِّساء البَطَلات اللاّتي ضَرَبْنَ خيرَ أمثلةٍ في الكفاح والتضحية والإيثار وحبّ الوطن، في الشهادة وإرادة العيش الكريم، وحب الخير والدفاع عن حرية الشعوب المضطهدة ضد الذُّلِّ والهَوان.

من هي دانييل جميلة عُمران مين؟ إنَّها المجاهدةُ الأبيّة ذات الأصول الفرنسيّة، التي آمنت بالقضية الجزائرية العادِلة وتشرَّبتْ بمبادئ ثورتها العظيمة، وتبنَّت شعاراتها البطولية: **النصر أو الاستشهاد.** التحقتْ بصفوف المقاتلات الجزائريات، وجميلات الجزائر، حتىّ سَمَّتْ نفسَها جميلة، لأنَّها عَرَفَتْ هؤلاء الجميلاتِ عن كَثَب وصَاحَبَتْهُنَّ في معركة الجزائر الخالدة وكانت إحدى واضعات القنابل: **جميلة بوحيرد، جميلة بوباشا، جميلة بوعزة، زهرة ظريف**، ...إلخ.

إنّها **دانييل مين(Danièle Minne)** الفتاة الفرنسية المولودة بـ: **نويي سير سان –(Neuilly-sur-Seine)** (فرنسا) بتاريخ 13 أوت 1939، المتوفاة في 11 فيفري 2017 بالجزائر العاصمة،"أبوها هو **بيير مين(Pierre Minne)**، أستاذ الفلسفة، ومقاوم سابق ومناوئ للاستعمار بالسنغال التي طُرِدَ منها عام 1947 فأقامَ بالجزائر بريف تلمسان، حيث ستصبحُ زوجتُهُ **جاكلين نيتير (Jacqueline Netter)** معلِّمةً، لكن بعد طلاقهما، تزوَّجت الأخيرةُ **عبد القادر قرّوج**، وناضلا معاً بالحزب الشيوعي الجزائري. رافقت **دانييل** أُمَّها في عملها النضالي في الأرياف المجاورة حيث اكتشفتِ الفوارقَ العظيمة الواضحة بين الجزائريين البائسين والأوروبيين المُترَفين[...].

في سن السادسة عشر، شاركتْ **دانييل مين** في إضراب الطلبة وتلامذة الثانويات واعتنقتِ القضيةَ الجزائرية. وفي قلب معركة الجزائر، دخلت العملَ السّرّيَّ واختارتْ اسم: **جميلة** بمجموعة **محند أرزقي بن ناصر**"[2].

" تعلَّمت منذ صِغَر سنّها حبّ الحرية والعدالة والكفاح من أجل الحق. التحقت **دانييل** سنة 1956 بصفوف جبهة التحرير الوطني رفقة زوجها **خليل عُمران**، [...] وصارت فدائية وأختاً في الجهاد لجميلات "معركة الجزائر"، **جميلة بوحيرد، جميلة بوباشا وجميلة بوعزّة**. شاركت **جميلة عُمران** في عملياتٍ فدائيةٍ تتمثَّل في تفجيرِ حاناتِ ومقاهٍ يرتادها الاستعماريون في الجزائر العاصمة، وأشهر تلك العمليات تفجير حانة الأوتوماتيك، في العاصمة في جانفي 1957. انتقلتْ جميلة بعدها إلى العمل المُسلَّح واعتقلها جنـود الاستعمار الفرنـسي في ديسمبر 1957 إثر اشتباك عنيف استشهد فيه إخوتـها من المُجاهدين وأختها في الكفاح المُجاهِدة **ريموند بيشار (Raymonde Peschard)** المُلقَّبة بـ"الطاووس." تمّ سجن **جميلة** في حبس بربروس(سركجي) في الجزائر العاصمة، ثم تمّ نقلـها إلى حبس ريـن، في فـرنسا. أُطلِـقَ سراحـها في أفريل 1962 بعد اتفاقيات إيفـيان. وبعد الاستقلال صارت أول أستاذة جزائرية تُدرِّس التاريخ في جامعة الجزائر. أصدرت **جميلة** سنة 1993 في الجزائر كتابها نساء في الكفاح، حرب الجزائر(1954-1962) تؤرِّخ فيه لمُشاركة النساء في حرب التحرير الوطني الجزائرية. لكن سنوات التسعينيات هي أيضاً سنوات الإرهاب التكفيري الذي ضرب الجزائر، وهدَّد الإرهابيون جميلة بالقتل فاضطرّت على أخذ طريق المنفى، خاصة بعد أن قتل إرهابيو الجبهة الإسلامية للجهاد المُسلَّح (فرع من فروع الجماعة الإسلامية المُسلَّـحة التكفيرية) عدداً من المُفكِّرين والمُثقَّفين الجزائريـين **كمالك علّولة وعزّ الدين مجوبي والهادي فليسي وجيلالي ليابس ومحمَّد بوخبزة**. درَّست **جميلة**، بـدءاً من 1999، تاريخ الدراسات النسوية في جامعـة تولوز، في

فرنـــسا ولكنـها قضت سنواتـها الأخـيرة في وطنها الجزائــر. توفّيت الـمُجاهِدة في فيفري 2017 ودُفِنَ جُثمانها في مقبـرة سي محمَّد أمقران، في مدينة بجاية، مسقط رأس زوجها المُجاهِـد الشهيد **خليل عُمران**، الذي كان ضابطاً في جيش التحرير الوطنـي، واستُشْهِد في نوفمبـر 1960 خلال اشتـباك مع جنـود الاستعمار الفرنسي، في دوَّار إقجــان، في ولاية بجاية حالياً." [2].

الترجمة:

تقديم

إنَّ التقديمَ لكتابٍ ما ليس كما يتوهَّمُ البعضُ إضفاءَ نوعٍ من الضمانة عليه، كأنَّ العملَ المعروضَ لا يكْتفي بذاته، فيحتاج إلى نوعٍ من الإضافـة في ديباجته لتزكيته. إنَّ التقديـم لكتاب ما هو عندي بالعكس من ذلك: إقرارٌ واعترافٌ، وعلى نحوٍ ما إعلانٌ بأنَّ الكتابَ المُقدَّم، دون ادّعاء استحقاق أدنى نصيبٍ من فضل الكاتب، ومِنْ شدَّةِ وَقْعِهِ في نفوسنا، جَعَلَنا نعتقدُ أنَّ مِنْ واجبنا شكرُه على جعله المُقَدِّمِ المُختارِ أفضلَ مِن أوَّلِ القارئين، بل القارئَ المُمَيَّـز. ينبغـي القولُ فـي هذه الحال بالذات إنَّ صِلتـي بعَمَلِ **دانييل جميلة عمران مِينْ**،

قد استفادتْ مع شيءٍ من المُفارَقة مِنْ هذه الطقوسِ الأكاديميةِ التي نسمّيها : "مناقشة أطروحة". ذلك أنَّني قَبْلَ تقديمي لهذا الكتاب، كنتُ رئيسَ اللَّجنةِ التي مَنَحَتْ للمترشحة بالإجماع في 22 جوان 1988، بجامعة "**رامـس**"، وبناءً على هذا العَمَل، لَقَبَ دكتور دولة بأعلى تقديرٍ ممكن ألا وهو: مُشـرِّف جـداً. وإذا كان لا بدَّ من التذكير بذلك، فلأنَّ أكثرُ النَّاسِ يجهلون غالباً المسارَ الذي مَرَّ به بحثٌ من هذا الحجم قبل أن يصلَ إلى النَّشْر. فللجامعة هنا دورٌ حاسمٌ، كما يعتقدُ المديرُ السابق للتعليم العالي للجمهورية الجزائرية الفَتِيَّة، والأُسْـتاذةُ المُمَيَّزَةُ بجامعة السوربون بباريس، بأنّه من اللاّزم أن نَضَعَ عظمةَ وقيودَ مِهنتنا كأستاذ باحث، داخلَ فضاءٍ ثقافيّ يجمعُ فيه البحرُ الأبيضُ المتوسطُ شعوبَ الضِّفَّتيْن أكثرَ مِمَّا يُفرِّقُها، هذه المِهنةُ التي شاركتني فيها **جميلة عمران**-التي ليستْ شخصاً آخرَ- سِوى **دانييل مِينْ** (التي سأدْعُوها اختصـاراً: **د. ج. ع. م**).

والحقُّ أنَّهُ بعيداً عن كَوْنِ البصمةِ الأكاديميةِ هنا زائدة بل مُريبة، فهي شيءٌ آخرَ مختلفٌ عن تنميقٍ عتيق.

بالعكس من ذلك، عندما تسيرُ الأمورُ مثلما وَقَعَ تماماً مِنْ حول **دانييل جميلة ع.م.** في شهر جوان 1988 فذلك دليلٌ على التـزامٍ رسميٍّ لممثليّ المجتمع العِلْمِيّ المُوَكَّلين كما يجب: وهو الالتـزامُ الذي يعترِف للدكتورِ الجديد في هذه الظروف بأنّه ذلك الدكتورُ الذي نَجَحَ بحثُهُ الطويلُ الممتازُ في أن يجعلَه على الأقلّ ولمدة مُعَـيَّنة أفضَلَ مُتخصِّصٍ في ميدانه. إضافة إلى ذلك، وقبل الوصول إلى الاستحقاقات التي لا شك في أنها للمؤلَّف وحده، أَلاَ ينبغي لي أن أستذكرَ شيئاً آخَرَ، فلم تنسَ **دانييل جميلة ع.م.** الإشارةَ إليه هي نفسُها أثناء المناقشة، بلا أيّ تَمَلُّقٍ ولكنْ باعترافٍ فيه تأثُّر: وهو الدَّيْـنُ الذي تَدينُ به تجاه ما أسميتُه: "المجتمع العِلميّ". بلا أدنى شك-بالنظر إلى الانتباه

الشديد الذي أبدتْهُ صاحبةُ الشهادة خلال النقاش المُثير الذي أطلقتْ فيه العِنانَ لأفكارها، بانفتاحٍ وصرامةٍ لمدة خمسِ ساعات كاملة.

لقد أفادَ الكتابُ، بالشكل الذي يُعْرَضُ به اليوم، من الملحوظات التي أَسْدَاهَا الأعضاءُ الستةُ المُكوِّنون لِلَجنةٍ دَوْليةٍ، شَكَّلَت اختصاصاتُهم المشتركة في بعضها، والمتكامِلة في البعض الآخر، بالنسبة للمترشحة، ضماناتٍ رهيبةً بهذه المناسبة وواعدةً في الوقت ذاته بالنسبة لمستقبل المُؤلَّف مَحَلّ التمحيص. ومع ذلك فالفضلُ كُلُّه بكلّ تأكيد يرجعُ إلى **آني راي غولدزيقر**، أولاً لأنَّها تَجَشَّمَتْ، بتلك الإجادة التي نعرفها عنها، عَنَاءَ الإشراف على الأعمال الطويلة والصعوبات التي امتدَّت لمدة عشر سنوات، ثمَّ لأنَّها عَرَفَتْ، كما كَتبتْ ذلك **دانييل جميلة ع.م.**، كيف تَبُثُّ فيها الشجاعةَ من أجل بُلوغ المَرام". وها نحن بما ذكرْنا مِنْ إعدادٍ تطلَّبتْ صَرَامَتُه صبراً ووقتاً طويلاً، قد وصلنا إلى الغاية الرئيسة للبحث الذي فَرَغَتْ منه **دانييل جميلة ع.م** في مثل تلك الظروف. الحقّ أنَّ المشروع الذي تصدَّتْ له كان يبدو للوهلة الأولى أكثرَ من طَموح بل مجنوناً بعض الشيء.

في الواقع، للتصدّي لبحثٍ في موضوعٍ غنيٍّ جداً بالمصادر العامَّة، مُفتقدٍ إلى الأرشيف المُتيسِّرِ في حينه، كان ذلك يحتاجُ إلى شجاعةٍ منقطعةِ النظير: أوّلاً لأنَّ الأحداثَ قد مَرَّ عليها رُبعُ قرن، فهو كثيرٌ للكلام عن التاريخ القريب لكنَّه قليلٌ للكلام عن التاريخ التأمُّليّ؛ ثُمَّ لأنَّ الوثائقَ كانت نظرياً عظيمةً، لكن عَمَلياً شاقَّةً في جَمْعِها، ولا سيَّما في دراستها، من أجل التمكُّن من استخلاص إحصائياتٍ لا شك أنَّها ضروريةٌ وليس مُجَرّد تكرارٍ بديهيّ؛ ثالثاً، لأنّه كان لِزاماً مواجهةُ ذلك المُحَرَّمُ المُخْزي الذي كان قد أسهمَ في رمي كفاح النساء الجزائريات في غياهب الصَّمْتِ أو النِّسْيان؛ أخيراً، لأنَّ الشَّغَفَ الذي كانت المُناضلةُ، التي تمتلكُ موهبةَ الشاعر-لحدٍّ ما، ضحيتَه شخصياً،- والذي صَقَلَتْهُ هي نفسُها، بشكل آخر، وهذا الشغفُ ليس بالضرورة من نفس الطبيعة التي عليها مستلزماتُ عِلْمٍ تاريخيّ يميلُ إلى الموضوعيَّة حتَّى وإن كانت غير إنسانية، لكنْ لنا في هذا العمل الجميل بُرْهانٌ بأنَّ الشجاعةَ تستطيعُ اقتحامَ المستحيل. زيادةً على الكثير من الشجاعة، كان ينبغي في الواقع توفُّرُ صرامةٍ عِلْمية للنجاح في إدخال مادةٍ خطيرة حقًّا وعادية في الوقت ذاته فيما يبدو، في إطار العمل الجامعي.

وكان من اللاَّزم تَلاَفِي النقائصِ العَرَضية أو الإرادية في جَمْعِ الوثائق المتمثِّلة في الكُتُب، بالمعالجة الآلية للمحفوظات الصحفية، والجُذاذات الفردية، والسِجلاّت المُحَوْسَبة والحِوارات التي أنشأتْها الكاتبةُ وسجَّلتْها: وهي مصادر كثيرة تحتاج إلى إتقان الأدوات التي قد لا يوفِّرها التكوينُ الجامعيّ بالضرورة، من أجل مساعدة القارئ على الانتقال من التحليل الدقيق إلى بعض الرؤى الإجمالية. وهذا ما دَفَعَ **دانييل جميلة ع.م.** إلى أن تجتهدَ اجتهاداً كبيراً في الجمع بين مناهجَ اعتبرتْها هي مختلفةً جداً، لكنَّها متكاملةٌ جداً، لدرجةٍ أجبرتْها في البداية إلى تقسيم مجموعِ دراستها بشكل جَعَلَ الفهرسَ، على كثرة تفصيله، لا يسمحُ لها بقياسٍ فوريٍّ مضبوط لقيمة ألفِ صفحةٍ من نصٍّ قُسِّمَ أوّلاً إلى أربعةِ أجزاءٍ مكتوبة بآلة راقنة بِغَرَضِ المناقشة.

كما قُدِّمَ هنا ببعض الحذفِ المحدود والفرعيّ عموماً الذي اقْتَضَتْهُ مُتَطَلَّباتُ الطَّبعة العصرية، فهذا الكتابُ الذي سنقرؤه هو جوهرياً نفسُهُ الذي ذَكَرْنَا طريقةَ إعداده العِلْميّة. بعد هذا التوضيح، بقيَ الرِّهانُ العِلميُّ لهذا العَمَل ذي الطابع التاريخيّ للغاية. إنَّ ما يمكن أن نتوخَّاه مِنْ تقديمٍ ليس أَنْ نُعيدَ على القارئ تفاصيلَ نقاشٍ غزيرٍ بالعِلْم لم يَحْضُرْه، وإنّما ترغيبه في المرور بسرعة إلى جدول الأعمال، أي إلى القراءة المباشرة للكتاب كما يسعى إليه مَنْ قَدَّمَهُ والذي يَعِدُ هذا القارئَ بدوره بأنَّهُ سيعيشُ بصُحْبَتِهِ تفاهماً،

بل رفقةً يمكن أن تصلَ إلى حد الانسجام. هذا الاحتمالُ الأخيرُ، هل بإمكانه بالمصادفة أن يكون مؤشّراً على سِحرٍ(أُنْثَوِيّ؟) عَرَفَتْ **دانييل جميلة ع.م.** سِرَّهُ لتأخذَ قارئَها لمشاركتها ما ينبغي تسميَتُه بالمعنى الكامل (وليس فقط بالمعنى الجامعيّ لِلَّفظ)، أطروحتَها، أو أطروحاتِها؟ سرعان ما أَدْرَكَ القارئُ بأنَّ الإغْراءَ المُمارَسَ هو إغراءٌ عقلانيٌّ أساساً، وهذا لا يعني عقلانياً تافهاً. إنَّها ليسَتْ أفكاراً مُسْبَقَةً أو اعتقاداتٍ شخصيةً أرادتْ **دانييل جميلة ع.م.** فَرْضَها. إنَّ ما كَتَبَتْهُ هو قَبْلَ كُلِّ شيءٍ، وبإصرارٍ مُذهِلٍ، أرقامٌ وجداولُ ومُنحنياتٌ وإحصاءاتٌ ونِسَبٌ مئوية. لا بدَّ أن يكون المَرْءُ قد مارَسَ-عند اللُّزوم في ميادينَ أخرى-مثلَ هذا التمرين ليقيسَ استعصاءَ العَمَلِ الجبَّار الذي يسبقُ كُلَّ فَرَضِيَّةٍ ممكنة، ناهيك عن كلِّ تلخيصٍ يمكن التفكيرُ فيه. لا غَرْوَ أنَّها كانت تمكَّنت من البداية-كما لا تنسى هي بالذات الإشارةَ إليه-من الاستفادة من الحَوْسَبة التي قامت بها سنة 1974 وزارةُ قدماء المجاهدين، للبِطاقية التي تجمع شهاداتِ النِّضال، دون تفريق بين الجِنسين، أي حَواليْ مليون ورقة بطاقية. كما تمكَّنت من الاستفادة فيما بعد من تعاونِ جزءٍ من مستخدمي نفس الوزارة من أجل أن تستخرجَ من كلِّ ذلك، الأوراقَ الخاصَّة بالنساء: وهذا ما مَكَّنَها في الأخير، بفضل المقارنة الشَّاقة بين القوائم المختلفة، مِنْ فهرسةِ 10.949 مناضِلة. ولنُذكّر أنَّ هذا الجَرْدَ المُعَقَّدَ مهما كان مُدْهِشاً لم يكن سوى شرطاً أساسياً للاستقصاء ما دام أنَّ مَنْ تَصَدَّى له هي امرأةٌ متخصّصةٌ في الجغرافيا الإنسانية وبصفة مقبولة عالمةُ اجتماعٍ وعالِمة أجناس، وتُجيدُ بتمكُّنٍ التقنياتِ التي لا غِنى عنها لإجراء تحقيقٍ من هذا النوع. وهذا ما نجده في النسخة الأصلية للخمسة والسبعين 75 جدولاً التي كان إعدادُها ضرورياً لتُحَرِّرَ عِلمياً عن طريق المقارنة بينها، تفسيراً جامعاً لمشاركة النساء في حرب التحرير الوطني التي قام بها الجزائريون ما بين 1954 و1962. النتيجة: انطلاقاً من هذا التحقيقِ الدّقيق، كان من اللاّزم إجراءُ بانوراما الكِفاح الذي لا يشبه تماماً تلك الفكرة التي كانت سائدةً عندنا (على الأقلّ عندما كنّا نكلّفُ أنفسَنا عناءَ الاهتمام بذلك) عن دَوْرِ النساء في هذه الحرب.

الحق أنه أصبح ممكناً من الآن إجراءُ هذا التحقيق لأنه يستند إلى بياناتٍ قطعيةٍ مُرقَّمة تبزغ فيها نتيجةُ الخلاصات الأساسية بارعةً لا تُدحَض: ويحلُّ مكانَ الصورة الشائعة للمناضلة الشابة، الرّيفية غالباً والتي انضمَّت للكفاح ابتداءً من سنة 1956، وتقاتلُ وهي تحمل السلاحَ بيديها، واقعٌ مُغايِرٌ تماماً. المناضلة الجزائرية الكاملةُ الرُّشدِ الملتزمة منذ أُولى أشهر الحرب. عددهنَّ نسبياً كبيرٌ في المدن كما في الأرياف، ويتوزَّعنَ حسب كثافة المعارك

وتشغلنَ الوظائفَ التي تقدرن عليها، والتي لا يُستغنى فيها عنهن. وتضيف الكاتبةُ بأسلوبٍ ظريف وقطعيّ: "ربما كان الواقعُ أقلَّ رومانسية من الصورة المعتادة، لكن المناضلة التي كشفنا عنها هي تعبيرٌ عن انخراطٍ شعبيّ عميق في كفاح التحرير الوطني". وهي ملحوظةٌ جوهرية إلى حدٍّ جعل الكاتبةَ بَدَلَ أن تَعْزِلَ حالةَ النساء، أبرزتْ جيّداً بأنَّ كفاحَهُنَّ كان جُـزءاً لا يتجَزَّأ، بل جزءاً أساسياً ممّا أسميناه عموماً " بالثورة الجزائرية ". كان يمكن أن تتوقفَ الملحوظةُ هنا، وكما يرتسمُ الجانبُ الأولُ من هذه الدراسة، كان باستطاعة هذه الأخيرة أن تكون كافيةً جداً لتستجيب لمتطلبات أطروحة يجد التاريخُ وعلمُ الاجتماع فيها -كما أسلفنا- مكانتَهما مثل الجغرافيا أو أكثر منها. هل كان بإمكاننا بحقٍّ التحسُّرُ، رغم إعجابنا بالإرادة الموضوعية للمنهج، على رؤية الوجوه المتباينة لمختلف المناضلات، التي كانت في البداية مُشعّةً قبل أن تصبحَ باهتةً في الغالب. وتنصهر في ملامح "المناضلة المتوسطة"، أو "المناضلة النموذجية" مثلما وصلت الدراسةُ الإحصائية الجافَّة إلى إعادة تكوينها. لكنَّ السعادة بالنسبة إليكم، أنتم قُـرَّاءَ هذا الكتاب وليس فقط الأطروحة، هي أنَّ **دانييل جميلة ع.م.** ليستْ بارعةً فحسب في التحكُّم المنهجيّ في التجارب وحساب الاحتمالات، وحتى أكثر من ذلك، متخصّصة في التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع كلّها مجتمعةً، بل شيءٌ آخر أكبر من ذلك، إنَّها قبل كل شيء-جنسٌ نادرٌ من المَرْأة الإنسانية المعاصرة في علاقاتها الاجتماعية أمرأةٌ ذاتُ حسٍّ أدبيٍّ أكيد، واهتمامٍ تُولِيهِ لأَخَواتها في القِتال، عميقٍ وحنون في الوقت ذاته، شغوفةٌ بموضوعيةٍ وموضوعيةٌ إلى حدّ الشَّغَف. إنّه في كل الحالات ما يُشعُّ في العمل من حيث قوتُه وذكاؤه ما يميّز بدرجة ثانية تناولَ **88** مقابلةٍ مع المناضلات فكَّرَتْ في طلبها **دانييل جميلة ع.م.** والموهبة التي أكملتها بها. لأنه مرة أخرى لا ينبغي أن نُخطئ : فقد كانت الطريقةُ المُبتَدَعَة من أجل الجمع بين تسجيل الحوارات المُجمَّعة، والترجمة(في ثلث الحالات) انطلاقاً من العربية العامّية، والتحقُّق من الشهادات المتحصَّل عليها، ومقابلة النتائج وتفسير التوجُّهات، كُلُّ ذلك بالحذر الذي يتوخَّاه ممارسو هذا النوع من التجميع أمام هذه الأرشيفات الشفهية التي، كما يشير إلى ذلك أحدُ مَنْ ذكرتْـهُ كاتِبَتُنا، "لا ينبغي أن توهِمَنا بأنَّ التحقيقَ يُمَكِّنُ من الولوج إلى شفافية الشيء المَعيش، ولا حتى شفافية تاريخ الشيء المَعيش". وبالرغم من ذلك كُلِّه، وشرطَ أن يتم التناولُ بهذا الحذر الجيّد، فإنَّ هذه الشهادات المباشرة تُضيفُ، عبر اليوميات المعيشة التي تستذكرها المعنياتُ، بُعداً إنسانياً لا يُمكن تعويضُه، وإيضاحاً جديداً فيما يخصُّ حربَ الجزائر. بفضل **دانييل جميلة ع. م.** وهذه الأنطولوجيا المُؤثِّرة لتاريخ بلدها التي لولاها لما كانت لدينا أدنى فكرة عنها،

ها نحن نُصغي لصوتِ هؤلاء اللَّواتي لم يكن سببُ صمتهنَّ المزعوم إملاءاتُ السرّيّة فقط. معهنَّ سنتوغَّلُ في الجبال وداخل السجون، ولكنْ أيضاً وببساطةٍ داخلَ منازلِ المُدُنِ والقُرى التي تبدو عاديةً، هناك حيثُ لم يكن يخطرُ على بالِ العَدُوّ أنَّ نهايةَ الحرب كانت تجري، لأنَّه لم يكن تخطر على باله كمّيّةُ الشجاعة والذكاء والوفاء المُخبَّأة في أعماق قلوبِ نساءٍ كانت أُمّيتهُنَّ المألوفة بالنسبة لهذه القلوب أمراً مُطَمْئِناً. وهنا يمكن التحقُّق

بالضبط من إحدى المفارقات التي لا يكادُ يقبَلُها أكبرُ المؤرّخين: ألا وهي أنَّ ذاتية البَشَر أداةُ معرفةٍ تاريخيَّة لا يمكن تعويضُها، هذه المعرفةُ يُفترض فيها أن تكون الأكثرَ موضوعية ما أمكن. أمَّا **دانييل جميلة ع. م.** فلم تَخْشَ في إحدى الشهادات الشفهية أن تسجّلَ شيئاً لم تفتخر به هي شخصياً، ولكنَّها تشيرُ إلى مَزِيَّتِهِ كأنَّه مفتاحٌ حقيقيّ:" أولاً- تقولُ لنا **دانييل**- كَوْني عايشتُ نفسَ تجاربِ السِّرّيّة والجَبَل والسِّجن، وأيضاً روابط الصَّداقة التي أقامتها داخل الكفاح إمّا مع مَنْ حاورتها أو مع إحدى صديقاتها المقرّبات، فذلك سَهَّلَ العلاقات (بيني وبينهنَّ)". تُضافُ إلى ذلك ملحوظةٌ ثانية ثمينة من الناحية المنهجية: كَوْن الأمر يتعلَّق بنساءٍ كُنَّ في الغالب أُمّيات أو قليلات التعليم وغير مُهَيْكَلاتٍ داخل حزبٍ سياسيّ، فذلك يُجنّب الخطابات والتصريحات". وهذا ما يبيّن في مثل هذه الحالة أنَّ بساطة القلب يمكن أن تصيرَ ضامناً لا مَثيلَ له للموضوعية! على كل حال، بيَّنت **دانييل جميلة ع.م.** في كتابها نفسه بزيادةِ توضيحٍ كيف تُمَكِّنُنا التلقائيةُ من الأخذ في الحسبان، وبشكلٍ أفضلَ، نوعاً أساسياً مِنَ الواقعِ الإنسانيّ: "النساء فيما بينهنَّ-تكتب **دانييل جميلة**-تُفْضينَ لبعضهنَّ بكلّ تلقائية؛ وهُنَّ أقلُّ هَوَساً بالنجاح الاجتماعيّ أو المهنيّ، لا يُعطِّلهنَّ الحِرْصُ على الصورة التي ستُقدّمنها عن أنفسهنَّ في العالم الخارجيّ. وعموماً ليس لهنَّ طموحٌ سياسيّ، ولا تبنينَ مشاركتَهُنَّ في الحرب على دوافعَ خارجةٍ عن دوافعِ المقابلة، كالدفاع عن وجهة نظر، أو عن جماعة أو عن تقييمهن الشخصيّ. باختصار، بعد قراءة هذه الشهادات المتنوّعة جداً، التي اقتفتِ الحياةَ العميقة، والتي ظَلَّ جُزْءٌ منها لغاية الآن مجهولاً عند الشعب الجزائري بِرُمَّتِهِ-رجالاً ونساءً-يَحِقُّ لمؤلّف كِتاب: "**الثورة الجزائرية بالنصوص**"في هذا التقديم لكتاب **دانييل جميلة ع.م.**

أن يؤكّدَ بأنَّ الجُهْدَ غير المسبوق الذي بَذَلَتْهُ لإيجاد نساءٍ من شعبها، قد عَرَفَ بالفطرة كيف يتبنّى الحركةَ الخَلاّقةَ التي تجعلُ الأجيالَ الراهنة من الجزائريين تدينُ فعلاً لهنَّ بحياتهم، وأيضاً بجزء كبير من الوسائل المتاحة لهم وعلّة وجودهم. وهذا ما يتجلَّى بعيداً عن أيّ إنشاءٍ في خلاصة **دانييل جميلة ع.م** التي لا مفرَّ منها: "إنَّ الشهاداتِ المجموعة تُحيي آلافَ تلك الحركات اليومية التي لا تتوقف عن التجدّد بالرغم من الآلام والأخطار، والتي مكَّنت المُقاتلاتِ من البقاء على قيد الحياة. بواسطة كلمات اللُّغة اليومية المعتادة ترسَّخت شجاعةٌ وإخلاصٌ جعلتهما بساطةُ التعبير أكثرَ إعجاباً ".

لقد قصدتُ الآن استعمالَ عبارةٍ رائجة اليوم لكنَّها تزعجني: وهي: **لا مفرَّ منها**، إننا نكتشفُ في الواقع عموماً بأنَّنا عندما نستعملُ عبارةً قطعيةً بهذا الشكل فهي ليست كذلك إلاَّ مبدئياً. ويتكفل الواقعُ بتفادي ما كان يبدو أنه "**لا مفرَّ منه**" لأنّه مؤسَّسٌ... قانوناً وحقيقةً. كأنَّ القانون والحقيقة-بالنسبة لأولئك الذين يَخْلِطُونَ عادةً بين التاريخ وصورتهم هُمْ التي يَرْغَبون في الترويج لها، كأنّهما يُشكّلان قاعدةَ القواعد! ظنّاً منهم أنهم يُعنَوْنَ بالتاريخ. حالة النساء الجزائريات في هذا الصدد هي حالاتٌ مُوَضِّحَة جدا. فلم يتطلَّبَ ذلك فقط أكثر من ربع قرن- ويا لها من معجـزة فريدة جـداً! من أجـل أن تسلّطَ الضوءَ إحدى الناجياتُ من العذاب، تحوّلت مِن فاعلةٍ إلى شاهدة

ومن شاهدة إلى كاتبةٍ رسمية للتاريخ، هذا الواقع المُسمَّى (فيما بعد): "**لا مفرَّ منه**"، لكن ينبغي أيضاً أن نلاحظَ أنَّ بعضَهم رَضِيَ بشكل لم يكن عَرَضياً بلا شك، بخنوعٍ بما أسمته **دانييل جميلة ع. م.** : " رؤية رومانسية"، وهذا لتظلَّ الغابةُ تُخفيها الأشجار. وقصدتُ أَنْ أقولَ إنَّنا رَضِينَا بالإشادَةِ بالإنجازات أو الاستعدادات الفطرية الاستثنائية لبعض النساء دون أن نرى أو تجاهَلنا بأنَّ هذه الأعمال الفردية تفترضُ وجودَ الخلفية الكبيرة التي نَسَجَهَا الجمعُ المُتزايد من النساء الجزائريات اللاَّتي"وقفنَ صَفًّا واحداً" بطريقتِهِنَّ الخاصّة شأنهنَّ شأن الرجال ومختلِطات بالرجال. وهنا أيضاً كان الأمرُ يتطلَّبُ كثيراً من الشجاعة بالنسبة **لدانييل جميلة ع.م.** لتتجرَّأَ، ابتداءً من 1988 على المرور بهدوءٍ من ملحوظةٍ عِلميَّة إلى نتيجتها الحتمية السياسيَّة، بالصيغة التالية التي مَيَّزت نهايةَ المناقشة: "المكانة المعطاة للنساء في النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني (ج. ت. و) تُعبِّرُ بوضوح عن الحَرَج الموجود إزاء نضال النساء، المقبول على الميدان وغير المُتَوَغِّل في العقليات".

بعد الذي قيل، لا أحدَ مع ذلك يستطيعُ لَوْمَ **دانييل جميلة ع. م.** على أنها حادت قليلاً، في هذه الخلاصة عن النهج الذي لم تتوقف مبادئه التوجيهية لحظةً عن التوافق مع مبادئ الصرامة التاريخية. هو ليس شيئاً آخر سوى الفحص الدقيق، من جهةٍ لأرضيةِ مؤتمر الصومام، ومن جهةٍ أخرى، لمشروع برنامج طرابلس، اللَّذين دفعا بها إلى إصدار هذا الحكم الذي لا يستبعدُ وضوحُهُ فروقَ معناه: "لم يكن الجزائريون مُهَيَّئين لتقَبُّل نِضالِ النساء؛ ولم يُسهِّلوا ذلك لا في النصوص، ولا في الأفعال. فقد تحمَّلوه، واستخدموه، وأُعْجِبوا به، وحاولوا في الغالب دون جدوى أن يُوجِّهوه في حدود المعقول الذي يحترم العادات". إنها ملحوظةٌ ذاتُ طابع سوسيولوجيّ، تجد نفسها، عكس كُلِّ مانَوية، مُكَمَّلَةً ومتوازنة بملحوظة ثانية سوسيولوجية أيضاً، لكنَّها هذه المرة تُمَثِّلُ وجهةَ نظرِ النساء، ومقابلَ ما تمّ تأكيدُه، تُقْحِمُ، عند أقصى نهاية الملخص العام **لدانييل جميلة ع. م.**، مسؤوليةَ النساء أنفسهنَّ، الفردية والجماعية: "بلا طموحات، لا سياسية ولا شخصية، ومصدومات بالحرب، فهنَّ تتطلَّعنَ، بعد عودة السلم، إلى حياةٍ عادية. سيستردُّ المجتمعُ الجزائريُّ، الذي أَنْهَكَتْهُ الحَرْبُ، معاييرَه المعتادة وسيحتضنهنَّ بسرعة. إنَّهُنَّ مَنْسِيَّاتُ التَّاريخ، ربما لأنَّهنَّ تختفين بسرعة عن الساحة السياسية".

"أيُّ تعاسةٍ مع ذلك! "، لا ينسى أن يَصْرُخَ مُحبّو "النهايات السعيدة"، الذين هم الأقلّ شعوراً بثَرَاء هذا الكتاب وجُرْأته، الذي يُتوقَّعُ أن يصبحَ من روائع الكتب في العالم بأسره، والذين منهم من هو أقل شعوراً بإحباط الحصيلة النهائية. لكن عليهم أن يطمَئنّوا، هم وجميعُ الذين يحبّون الجزائر، لا يمكن أن يَقْبَلُوا التفريقَ في هذا الحُبّ بين الجزائريين والجزائريات! الكتابُ مليءٌ جدّاً بالآفاق حتى لا يقترح، بأسلوب أفضل من الضمنيّ، نتيجةً طبيعيةً ونوعاً من الصور ليس فقط المُتوقَّعة، بل الأكيدة، لفعل التحرير الوطني، الذي لا يمكن أن يندرجَ داخل حدود حرب حتى وإن ربحناها.

إنَّه لخطأٌ قاتلٌ أنْ نظنَّ أنَّ هذه " الثورة الجزائرية "، التي طَابَ لنا الاحتفالُ بها غَداة استقلال **1962**، بطريقةٍ "رومانسية"، قد انتهتْ. إنَّ "الثورة الجزائرية" مثلما حلم بها المناضلون الحقيقيون وشهداء القضيَّة، لم تتحقَّق بعد. يعني أنَّ كُلَّ الإمكانيات المتراكمة في أعماق قلوب الرجال والنساء، خلال مِحْنَةِ الحرب، ينبغي أن تنضُجَ وتزدهر، لا أن تتقهقر- إلاَّ إذا تبرّأنا من الأهمّ. وهذا ما لا يمكن أن يتـمَّ من غير أَلَـمٍ وأَمَل.

آخـر كلمةٍ قالتها **دانييل جميلة ع. م.** كانت بلا شك تلك التي أطلقتْها في شهـر جوان **1988** داخل حَرَمٍ جامعيّ كنّا فيه من المحظوظين القلائل الذين استقبَلْنا، في العـرض الأول، هـذه الرسالةَ:" إنَّ سنواتِ الكفاح التي تتكلم عنها النساءُ دائماً بانفعال، قد أسهَمَتْ في ازدهارهنَّ الشخصيّ وغَيَّرت علاقاتهنَّ العائلية. لقد احتفظنَ بروح الكفاح وهُنَّ متأهّباتٍ لفعلِ شيءٍ أمام الإجراءات التي يمكن أن تمسَّ بحقوق النساء".

ثم آخر كلمة بالتأكيد كانت لأعضاء المجتمع العِلْميّ الذي سيُتوِّجُها. لكن، أكثر من ذلك أيضاً، إنذارٌ رسميّ أُطلِقَ لكلّ المجتمع السياسيّ-رجالاً ونساءً مجتمعين لا ينفصمان-الذي يجب أن يظلَّ، في هذه الجزائر الجديدة جدّاً، يَقِـظاً تجــاه دروس الماضي، البعيد والقريب، البعيد والقريب، لبلدهم. شكـراً **لدانييل جميلة عمران مِين** على أنَّها ذكَّرَتْنا به وأَنْذَرَتْنا.

أندري ماندوز.

تمهيد:

سواءٌ تعلَّقَ الأمرُ بأعمال الخيال، أو بشهاداتٍ أو بأبحاثٍ جامعية، فإنَّ ما كُتِبَ عن حرب الجزائر كثيرٌ ومتنوّع، لكنَّ جميعَ ما كُتِبَ يَشْتَرِكُ في شَـيْءٍ واحدٍ ألا وهو تجاهُلُ نِضَالِ النِّساء. مع أنَّه منذ بداية القتال، التحقَتْ جزائرياتٌ واقتحمنَ قطاعاتٍ كانتْ إلى ذلك الحين حِكراً على الرِّجال وهما: **السياسة والحرب**. فقد ظهرتْ أسماءٌ لمناضلاتٍ مَوْقُوفَاتٍ في الجرائد منذ 1955، ومَلَأَتْ صُوَرُهُنَّ الصفحاتِ الأولى للصِّحافة المَحَليَّة، وفي قلب الحرب، أصبح اسمُ امرأةٍ كجميلة بوحيـرد، رمـزاً لشَعْبٍ مُكافحٍ بأكْمَلِه.[3]

" لقد وَجَدَ نِضَالُ النساء خلالَ الحرب صَدًى مقبولاً لدى الرَّأي العام، على الصعيد الوطنيّ وبالخارج، في الشرق الأوسط وبأوروبا. لكن بعدما وضعتِ الحَرْبُ أوزارَها، لم تختفِ النساءُ بسرعة من الساحة السياسية فحسب، بل أكثر من ذلك، بدا أنَّ الجميعَ نَسِيَ الـدَّورَ الذي لَعِبْنَه. وباعتباري شاركتُ شخصياً في حرب التحرير الوطنيّ، فقد احتفظتُ بذاكرتي بصورة جميع أولئك المُناضلاتِ اللاَّتي عرفتُهُنَّ أثناء "**معركة الجزائر**" في الجَبَل وداخل السجون، ورأيتُ أنَّ من الظلم العظيم أن يُكتبَ تاريخُ هذه السبع سنين والنصف من الحرب ويُطمَسَ نصفُ الشَّعْبِ الجزائريّ: وهن النساء. هذا النِّصْفُ الذي نَسِيَهُ المُؤرِّخون والشَّاهدون والمُمَثِّلون والكُتَّابُ هو ما حاوَلْتُ إحَياءَه."

الجزء الأول

جزائريةُ الخمسينيات

إنَّ التحاق المناضلات يمكن أن يكون أَعْجَبَ ظاهرةٍ وأحدَ المُعطيات الحاسِمة لحرب الجزائر. فلا شيءَ كان يوحي بأنَّ جزائريةَ الخمسينيات، تلك المرأة المتوسطيَّة، البربريَّة، المُسْلمة، المُسْتَعْمَرَة، ومن ثمَّ سجينة قانون أحوالٍ شخصيَّة مُقيِّـد، يمكنها أن تُشارِكَ في القِتال. لقد أَصَّلَ العُمْقُ المتوسطيُّ العتيقُ والثقافةُ البربريةُ داخلَ المجتمع الجزائري مُكوِّناً يصعُبُ حَصْرُه: نظامٌ أَبَويٌّ صارمٌ يَعْزِلُ المرأةَ في مكانةٍ اجتماعية تابعة. وبعيداً عن تحويل حال المرأة، فقد عَزَّزَ الإسلامُ الذي فُسِّرَ في نفس الاتجاه هَيْمَنَةَ الذكور. وجَمَّدَ الاستعمارُ هذه الحال فلم يسمح بأيِّ تطوّر. بل أصبحتْ صورةُ المرأة العصرية التي أعطتها الأوروبيةُ التي لم تكن البتَّةَ مِثالاً يُحْتَذى، ولأنها وليدة العالَم الاستعماريّ، فقد أصبحت النموذَجَ المنبوذ.

عديدةٌ هي أوجهُ شأن المرأة. وتتغيَّرُ حسب المناطق، ومستوى المعيشة، وبالطبع، حسب المميِّزات الخاصَّة لكلّ عائلة. لكنَّ هناك حقيقةً جليَّةً لا نقاشَ فيها ألا وهي: الغيابُ الكامل للنساء في العالم الخارجـيّ.

1

حالة المنبوذ في عالَمِ العَمَل

ليس العَمَلُ عند الجزائريين عامِلَ ازدهارٍ ولا غزواً للعالم الخارجيّ لكنَّه ضرورةٌ للبقاء على قيد الحياة. فباستثناء أقليَّةٍ ضئيلة، كانت جزائريةُ الخمسينيات سواءٌ كانت فلاّحةً أم عاملةً أم خادمة تتولَّى أشغالاً مُضْنِيَةً تحطُّ من قيمتها، وفوق ذلك أجرتُها زهيدة. في الأرياف تشاركُ النساءُ في أعمال الفِلاحة. لذلك فهُنَّ مَجبوراتٌ على الخروج من المنزل، لكنَّ توزيعَ المهمّات مُقنَّن. وهذا لا يعني إطلاقاً مزيجاً من عالَمَيْن ذكر وأنثى. فالريفيَّةُ الحاسرة الرأس داخل بلدتها وفي الحقول تسيرُ وفق مساراتٍ ومواقيتَ مضبوطةٍ تُجَنِّبها لقاءاتٍ متكرّرةً جداً مع الرجال. مع أنَّ الطقوسَ الفلاحيَّة التي تجمع الرجلَ بالمرأة تشهدُ على قِـدَمِ دَوْرِ النساء في هذا الميدان وهو دورٌ فعّالٌ وساحِر. فإنَّ حُضورَ المرأة التي تُعَدُّ مصدرَ خصوبة شيءٌ لا بد منه في وقائع الحياة الفلاحية. من أجل ذلك فالمرأةُ مرتبطةٌ دائماً بعمليات الحرث الأولى. "في القبائل كلّها- يذكر مَثَلاً **جون سيرفيي (Jean Servier)**- يأخذُ هذا الانطلاقُ إلى الحقول قيمةً طُقوسِيَّة شديدةَ الأهمية. فالفلاّحُ يَجُرُّ أمامه الثيرانَ المُحمَّلَةَ بالمحراث الخشبيّ؛ ومِنْ ورائه تمشي زوجتُه التي تحملُ فوق رأسها سَلَّةً وُضع في وسطها مصباحٌ مُشعَل. هذا المصباحُ هو مصباح الزَّواج الذي هو أيضاً قُربانٌ جنائزيّة: يعني ذلك دعوةً إلى الخصوبة الآتية من الموتى."[4] يظهر هذا الرمزُ نفسُه أثناء موسم البَذْر: "المرأةُ الحُبلى هي التي تضع البذورَ داخل الكيس... وبالنسبة للأراضي القريبة من القرية، المرأةُ التي مَلَأَتِ الكيسَ هي التي تفتتحُ موسمَ البَـذْر."[5] إنَّ الماءَ هو العنصرُ الأساسيُّ للفلاحة، وبخاصَّةٍ عند القَرَويّ المتوسطيّ الذي يُنظِّمُ حياتَه تناوبُ الموسمين الممطر والجاف، ويسيطرُ على حياته هاجسُ الجفاف. لكنَّ المرأةَ تكاد تكون مرتبطةً دائماً

بالممارسات الطقوسية لطلب الغَيْث: " لكن إذا هدَّدَ جفافٌ بإتلاف الحصاد المستقبليّ، وانتاب **الشاوية**ُ الخَوْف؛ تشرع النساءُ في طقوسٍ قديمةٍ لتنالَ من السَّماء القَطْرَ الضَّروريَّ لإنتاش البذرة. وتمسكُ مجموعةٌ من الأولاد بأحد المعتوهين ويُدخلونه في النَّهر طَوْعاً أو كَرْهاً.

وعندما يخرج مُبَلَّلَ الثياب، وهو رمزٌ غير إراديّ لوفرة السَّماء، يتشكَّلُ موكبٌ من الفتيات والصبيّات من حوله، تحمل إحداهُنَّ دُمْيَةً مصنوعةً من مِلْعَقَةٍ خشبيَّةٍ كبيرة (**أغمجا**) مكسوَّةً بالثياب. وهُـنَّ يُغَنّـين:

يا مَطَـرُحَـرّرخَـروفاً؛ يا ربُّ ارْحَم مَخْلُـوقاً.

وما تزالُ هذه العادةُ سائدةً في مناطقَ عديدةٍ من الجزائر. لكنَّ مشاركةَ المرأة في الأعمال الفلاحية لا تقتصرُ على هذا الدَّور المُثير، فهي تعملُ في الحقول وفي الغالب بقساوةٍ شديدة. يقول المَثَلُ القبائليّ(الأمازيغي) :

"**حالةُ المرأة لا يتمنَّاها حتَّى الكلب**". "**عملُ الرَّجُـلِ يُحِبُّه الله: له معنى، فهو نبيلٌ مثله. أمّا عملُ المرأة، فيُخفيه اللهُ في حِجره: فهي تتحرّك مثل الذُّبابة في مَصْلِ اللَّبن: في الداخل لا تتوقَّفُ عن العمل، وفي الخارج لا نرى شيئاً. رَواحُها وغُدُوُّها اليومَ هو نفسُه غداً**."[6]

تُضافُ إلى الأعمال التي تقوم بها النساءُ في البيت، الأعمالُ التي تقوم بها في الحقول.

"على الزَّوج والزَّوجة أن يتَّحِدا للقيام بعمل الحقول، كُلُّ واحدٍ منهما يُمْسِكُ فيها طَرَفاً من "**الشّـواري**".

على الرَّجُلِ أن يصعَدَ الجبالَ والمنحدرات؛ ينـزِع أشواكَها ويحرثها وينكشـها، ويغـرس فيها شُجيرات. المرأةُ تتبع زوجَها من الخلف؛ وتُكْمِلُ ما تركه مُعَلَّقاً. يُقال: **الأسدُ لا يجمع النمل**. إذا كان عملُ المرأة سهلاً، فهو لا يعرف هوادةً ولا راحة. شُغْلُها الشَّاغل الحَقْل. أينما وُجدَ فثمَّةَ قَلْبُها. لقد كانت النِّسـاءُ المُنَظّمات والنظيفات في السابق تَقُلْـنَ: **يومان للحقل، ويومٌ للبيْت**.

تعتني المرأةُ ببساتينها التي تُعْطي الخُضَرَ الجيّدة للبلدة بشتَّى أنواعها واللَّذيذة جداً والتي تُؤكلُ مع تُربَتِها.

فهي التي تنقلُ زِبل التسميد من الثِّمار. وهي التي تجمع ما يُسقطه الزوجُ على الأرض. وتحصد التينَ والزيتونَ والبَلُّوط. تأخذُ الرُّزَمَ وأَحْمَالَ العَلَف وتجلب إلى البيت الحَطَبَ المقطوع. باختصار، تهبط إلى الحقول بالأحمال، وتعود بحِمْلٍ آخـر:

أيتها المرأة الماهرة، خُذي خِـرْقةَ رأسِك وحَبْلَك

واجمعي لأهلك حُـزمة الحَطَب

ودون هوادة في الحقل، سوّي الرَّوثَ

ولِسَدِّ رَمَقِ أهلِ البيت

إيتي بحرشف نفيس[7]

وحدهُنَّ تُستثنيْنَ من هذا العمل الإضافيّ نساءُ العائلات المَيْسورة ونساءُ عائلات المُرابطين. فرُقيُّ العائلات يُجنِّبُ المرأةَ الأعمالَ الفلاحية الشاقَّة، لكنْ لا يمنعها من التفرُّغ وهي حاسرةُ الرأس للأعمال العديدة خارج البيت:الذهاب لإحضار الماء من المنبع، المشاركة في أعمال الجني،إلخ. أمّا عائلات **المرابطية** فتخضعُ للانشغال الدينيّ لسَجْنِ نسائها اللأّتي لا تخرجنَ إلاّ نـادراً وهُنَّ مُحجَّبات. كَشَفَ إحصاءُ سنة 1954 عن وجود261 77 امرأة نشطة في الفلاحة[8] أيْ ثُلث سكان الريف من الإناث في سن النشاط. ويتعلَّقُ الأمرُ هنا برقم مرتفع جداً، يُناقضُ الصورةَ المتداولة للجزائرية المحجوبة والتي لا تعمل في الخارج. حتى وإن كان من الصعب تقييم عدد العاملات في هذا القطاع، فمن المؤكد أنَّ جميع القَرَويات يشاركنَ نوعاً ما في الأعمال الفلاحية. فجَنْيُ الزيتون مثلاً يجمع نساءَ القرية. وتنجـو هذه الأعمال الجماعية من رتابة الأشغال اليوميَّة وتأخـذ صورةَ الأعـراس.

"ثمَّ يأتي موسمُ الزَّيتون. هذه الفترة من السَنة **بإيغيل علي** هي الفترة التي تكثر فيها الحَرَكَة، لأنَّه يجب فيها على النساء الشَّابات والعجائز أن تذهبن إلى الجَنْي. فالنساءُ يذهبنَ إلى الحقل بعد أن يستيقظنَ قبل الصبح ويلبسنَ أجمل الحلُيّ، وهنَّ مُخَضَّبات وترتدين في أرجلهن نوعاً من **البابوش** العالي والليّن ذي اللَّون الأُرجواني. علىهن زخرفاتُ رسومٍ سوداء، وتُزينهُنَّ جميع مجوهراتهن. كل النساء يحببن وقَتَ الزيتون، لأنَّه الوقتُ الذي يستطعنَ فيه الخروج. ولا يرجعن إلى البيت إلاّ عند غَسَقِ اللَّيل، مُتْعَباتٍ ولكنْ سعيدات."[9] **عواوش** التي تنحدرُ من عائلةٍ ميسورة من مُلاَّك الأراضي، لم تعملْ قطُّ في الحقول، لكنْ بعد مرور أربعين سنةً، ها هي تتحدثُ لنا بِحَنِينٍ عن جَوّ العُرْس الذي كان يَعُمُّ خلال عمليَّة درس القمح والعمل الجماعيّ الذي كانتْ تشارك فيه إلى أنْ تزوَّجتْ فصارت تسكن مدينةً لا تخرج فيها إلاَّ مُحَجَّبَة. أمَّا الصناعة التقليدية، المُتأصِّلَة جداً في الوسط الرّيفيّ النسويّ، فتُمثِّلُهُ صناعةُ الفخَّار والحِياكة. تلعبُ صناعةُ الفخَّار دوراً مهماً، فجُلُّ مواعين العائلات من الطِّين، وفي الغالب يُخزَّنُ ما يُحفظُ من الغِذاء (الحبوب، السميد، التين المجفف، الزيت) في جَرَّاتٍ كبيرة. تُعدّ صانعاتُ الفخَّار مُحترفاتٍ حقيقيات، وفي بعض الأحيان فَنَّاناتٍ، ولكل منطقة فنَّاناتُها اللّاتي لهنَّ دورٌ اقتصاديٌّ أكيد في تلك المرحلة التي لم يكتسح فيها الألمنيوم والبلاستيك البيوت.

المواعينُ التي تشكِّلها صانعةُ الفخار إمَّا أن تُباعَ أو تُقايَض. تتطلَّبُ وظيفةُ صانعة الفخَّار كثيراً من المَهارة والعَمَلَ في الوقت ذاته. "مهما كان السعرُ الذي نشتريها به، فثمنها رخيص"، وهذا ما يؤكِّدُهُ أحدُ النصوص التي وُجدَتْ عند صانعات الفخَّار **بآيت إسماعيل بجرجرة**، الذي يصف شتَّى المراحل التي يمرَّ بها هذا العمل: "كلّه مشقَّات: يجب إحضارُ الصلصال، والحَطَب، وتهشيمُ كسرات الخزف، وعجن التراب وتشكيله وصقله ووضع دهان الفخَّار والرسم والحرق والطلي بالبرنيق...أفضلُ موسم لصنع الفخَّار هو الربيع فالجوّ ليس بالشديد الحرارة ولا هو بالشديد البرد. وفي الشتاء أيضاً، الأمرُ جيّد، لكنّه شاق على اليدين: الماء بارد والخزَفات لا تجفُّ بسرعة.. إنَّ صناعة الطين شاقَّة، ومُوَسِخة جداً. عندما نهشِّم كسرات الخزف نمتلئ بالغبار: فَعَلَيْنَا أنْ نَغْتَسِلَ

مِنَ الرَّأْسِ إلى القدمَيْن ونغيّر الثياب. عندما نشكّل، نفس الشيء، فهذا الوسخ يتوغَّـل حتى الداخل... "هناك رسوم كثيرة: كل واحد يختار ما يعجبه منها. بعضُها صعب: النساء الماهراتُ جداً هُنَّ مَنْ تصنعها.. لكل قرية أسلوبُها في الزخرفة...وعندما تنتهي زخرفة الفخَّار يجب حرقه لأنه يقال:

الفخار غير المُحترِق يَحرِقُ صاحبتَه. هكذا: أوقِدَت الخَبْزة. محروسة من مكان بعيد...وجهُ المسكينة قد احترق؛ ويداها، وعُنُقها..." تستمرُّ المراقبة. وعندما يصفو كل شيء (ولا يبقى دخان)، ويصيرُ كُلُّ شيءٍ أحمرَ، نكتشف، لكنْ ليس دُفعةً واحدة: تؤخَذُ القِطَعُ الواحدة تلو الأخرى وتُحكُّ بواسطة البرنيق حتى ينتهيَ كلُّ شيء...

إنَّ البرنقة عَمَلٌ شاق[10] ! كثيراتٌ هنَّ من تصنعنَ الصُّوفَ، لأنَّ صناعتها يجب أن تمرَّ بسلسلةٍ حقيقية من الأشغال للوصول إلى البرنوس، أو اللحاف أو البساط. غَسْلُ الصوف، فتمشيطه، ثمّ غَزْلُه ونسجه، كُلُّها أعمالٌ مقتصرةٌ على النساء. ما عدا الصِّباغة يقوم بها الرِّجال. تحظى صناعةُ الصوف باحترام يتجلّى في جميع أنحاء الجزائر. فالمَثَلُ التلمسانيُّ الذي يقول: "**صناعة الصوف تحمي من السيّئات وتدفعها**" يُقابله المَثَلُ القبائليّ القائل: "**المرأةُ التي تفتلُ الخيطَ في المغزل، يأخذُ اللَّهُ طرفَ خيطها هذا ولمّا يبلغ مَكَّةَ، تضمنُ أنها ستدخلُ مباشرة إلى الجنة**[11]." لكنَّ هذا العملَ رغم قيمته، مُتْعِبٌ جدّاً. يذكرُ **الحُوفيّ**، الذي هو أغنيةٌ شعبيةٌ تلمسانية، هذا الكدَّ والعَملَ الشاق فيقول:

لا أزورُ لا أمّي ولا أختي بسبب ما أجده في صناعة الصُّوف من عناء،

ولا أُحَدِّثُ صديقتي بسبب ما تتطلَّبه صناعةُ الصُّوف من عِناية،

اشتعلَ رأسي شيباً بسبب ما تحدثه في نفسي صناعةُ الصوف من مَلَل[12]**،**

وتؤكِّدُ النساء القبائليات هذه الشكوى:

ما الذي يجعل الثمارَ يطيبُ؟ النسائمُ والأمطارُ الخفيفة،

ما الذي يذهبُ بالبصر؟ رثاءُ مَنْ نُحبّ،

ما الذي يذهب بكلّ قوة؟ هو أن تنسجَ بين المسداة.[13]

في الوسط الريفيّ تعدُّ الصناعةُ الحِرَفية مصدراً للدخْل. بينما يقتصرُ نشاطُ الحَضَريات أساساً على أشغال البيت. ولا شك أنَّ الفكرة التقليدية السائدة بأنَّ على الرَّجل ضمان إعالة عائلته بمفرده تُعَضِّدُها تعاليمُ القرآن التي تُثقلُ كاهلَ الزوج بأعباء العائلة مهما كان للزوجة من أملاك. جلُّ النساء المنحدرات من عائلات حضرية عريقة تملكنَ موهبةً خاصَّة تشغلن بها أوقاتَ فراغهن: أنواع شتى من التطريز، أو التخريم التقليديّ، كلّها معقَّدَة، لكنّها أجمل بعضُها من بعضٍ، وفي الآونة الأخيرة الحياكة والخياطة. وليست هذه النشاطات في الأصل موجَّهةً سوى لقضاء حاجيات العائلة ولا يمكنها أن تكون مصدراً لِدَخلٍ ماليّ خِلافاً للأعمال الحِرَفية التي نجدها في الرّيف تباع أو تُقايَض. يرتبطُ بالمرأة الحَضَرية نوعٌ من العار وهي تبيعُ ما صنعته بيديْها. ولذلك غالباً ما تشعـرُ بالخَجَل من

فعل ذلك ولا تبوح به. عند العائلات المتواضعة أو الفقيرة، عندما تكون المرأةُ بحاجةٍ إلى العمل، تحاول دائماً في مرحلة أولى، أن تجدَ عملاً في بيتها. تقوم النساءُ بالخياطة أو الطرز أو النسج أو الحياكة. ولأنهن تتقاضَيْن أجوراً زهيدةً ولا تستفدنَ من أيّ تلك الامتيازات الاجتماعية التي يستفيد منها العُمَّالُ المُصرَّحُ بهم، فهُنَّ تحفظنَ السُّمْعَة: تربحن المالَ، قليلاً منه بالتأكيد مقابلَ ما تقضيه من الوقت فيه ومقابل ما لهنَّ من مؤهّلات، لكنّهنَ يبقين في المنزل. عندما تقرّرُ امرأةٌ ما، بعد أن اضطرَّها الشَّقاءُ إلى العَمَلِ خارجَ البيت، فإنَّ أوّلَ ما تحرِصُ عليه هو أن تبقى بعيدةً عن العالم الذكوريّ. وفي بعض المُدُن، كتِلِمْسَانَ، هناك مَعامِلُ البُسُط لا يعمل في وُرُشِها سوى النساء. تذهبنَّ في الصباح الباكر، مُحَجَّباتٍ، وتسرعنَ في الشوارع التي ما تزال فارغةً، ولا تَعُدْنَ إلاّ في المساء. مكَّنَ تحقيقٌ أُجْـرِيَ على أهمِّ وِحدة للبساط بتلمسان، ومعمل النسيج والبساط الشرقيّ (م.ن.ب.ش)، من تحقيق مقاربةٍ عن وضع العامِلات في هذا القطاع. في سنة 1952، شَغَّلَ المعملُ (م.ن.ب.ش) حوالي 1500 عامل، منهم 2 إلى 300 يُسْتَخْدَمون فقط في ورشات الغزْل والنسْج. فبورشة الغزل حيث يحتاجُ ثقلُ المُعِدَّاتِ وجودَ رجال، لا يوظَّفُ سوى نساء غير مسلمات، في أغلبهنَّ إسرائيليات. بالمقابل، نسج البُسُط التي تُعْقَدُ باليد تتكفَّلُ به بالكامل عاملاتٌ جزائريات، ذلك أنَّه تخصَّصُ له ورشةٌ خاصة بعيداً عن حضور الرجال. كما توكَلُ مسؤوليةُ الورشة لامرأة، وهي أوروبية بالطبع. إنَّ أجرَ النساء أقلُّ من أجر الرجال، وأجرُ عاملات ورشة النسج أقلُّ من عاملات الغزل. لذلك فالجزائرياتُ أقلُّهنَّ أجراً. بعد عام 1942، كُنَّ تتقاضينَ أجر6 فرنكات في اليوم مقابل 8 ساعات عمل من الساعة 7 إلى الخامسة مساءً 17، مع انقطاع من 11سا 30 إلى 13 سا 30. لم يكن باستطاعة الجزائريات الاستفادةُ من هذه الراحة التي تدوم ساعتين لتَعُدْنَ إلى المنزل، لأنهنَّ كُنَّ تسكنَّ بعيدات. "فتبقين هناك، داخل الورشة، ولا تأكلنَّ شيئاً تقريباً: قليلاً من الشربة التي بقيت من البارحة، أو بيضةً أو حبَّةَ بطاطا...وبعضُهُنَّ لا تُحضرن معهنَّ شيئاً، فتُذيقُ بعضُهُنَّ الأُخرياتِ، وبعضُنَّ الآخر لا تأكلنَ بتاتاً المسكينات"، وهذا ما يتذكَّرُهُ بتأثُّرٍ، بعد مرور أكثرَ من ثلاثين سنةً،

رئيسُ مصلحة المستخدمين، لمَعْمَل النسيج والبساط الشرقي (م.ن.ب.ش)، وهو تلمسانيٌّ يهوديٌّ غادرَ تلمسان سنة 1952[14]."كانت جميعُ هؤلاء العامِلات فقيراتٍ بل فقيراتٍ جداً وبالرغم من قساوة العمل وزُهد الأجور، فقد كُنَّ محظوظاتٍ مقارنةً بالنساء اللَّواتي كُنَّ تطلبنَ التشغيلَ دون أن تحصلنَ عليه. فكان هناك دائماً 200 إلى 300 طلب في الانتظار."[15] وهُنَّ محظوظات أيضاً مقارنةً بعاملات بعض القطاعات التي هُنَّ أقلُّ منهنَّ أجراً بكثير مثل تلك اللاَّتي تُوَظَّفْنَ في فَرْزِ الزَّيْتون في مَعْصَرَة الزيت الكبرى لتلمسان اللَّواتي لا تتقاضيْن سوى 2,5 فرنكٍ في اليوم. لكنَّ أكثر الوظائف التي تمتهنهنَّ هي وظيفة مُنظِّفَة. فلم يبلغ عدد النساء اللَّواتي تشغلنَ نشاطاتٍ غير فلاحية في سنة 1954 سوى 38 500، منهنَّ 24 728 خادمات بيوت. بعضهنَّ بَدَأْنَ العملَ وهُنَّ صغيراتٍ، وهُنَّ في بعض الأحيان لم تَزَلْنَ صبيّاتٍ، ابتداءً من ثمان أو عشر سنوات. "لم يكن هناك قانونٌ ينصُّ على العُمْر الذي

يجب أن تبلغَه مسلمةٌ لتتمكَّنَ من العمل، فالقانون الوحيد، هو الحاجة، سواء وُجد الزوجُ أو لا، كان هناك أولادٌ أو لا "[16]. الكثيرُ منهنَّ يجمعن ساعات العمل في وظائفَ مختلفةٍ حتى تتمكَّنَّ من بلوغ أجرٍ يكفي لتلبية حاجياتهنّ. السيدة "ف" تعمل "من 8 ساعات إلى 12 ومن ساعتين إلى 5 ساعات؛ لا آكلُ عند مَنْ يوظفونني،

ليس لأنَّهم لا يُحبّونني أن آكلَ، لكن من أجل الشغل: فعمل ساعتين(زيادة) يخدمني كثيراً... في المساء، إذا كان لديها (صاحبة البيت) اجتماعاتٌ أو عمل، أبقى مع الأولاد لكيْلا يبقوا وحدهم"[17]. تُمَثِّلُ العاملاتُ اللَّواتي ليس لهنَّ أيُّ مؤهّل، مثل خادمات البيوت، والعاملات اليوميات، والمتمرّنات، والعاطلات عن العمل نسبةَ 79% من مجموع الساكنة من النساء الناشطات غير الفلاَّحات. ولا تمثِّلُ الموظَّفات والعاملات، اللاَّتي تملكنَ مبدئياً بعضاً من المؤهّلات المهنية حتى وإن كانت ضعيفة سوى 9,9 % من المجموع. أمَّا العاملات اللاَّتي استفدنَ من مؤهلات حقيقية فهنَّ قليلاتٌ جداً: 105 امرأة تمارسن مهنةً حرة، 37 إطاراً سامياً و502 إطاراً متوسطاً أو إطار تحكّم، أي 1,7 % من مجموع النساء النشطات[18].

2

أُمّيّـــةٌ شبه تامّـــة

في سنة 1954، بلغَتِ الأُمّيَّةُ عند السُّكَّانِ الجزائريين نسبةَ 91 %. في ظل هذا العَوَز العام، تدفعُ النساءُ ضريبةً أغلى من الرجال: فقد تمَّ مَحوُ أمية 4,5 % فقط منهنَّ؛ وأمّا الرجالُ الذين هم أكثرُ حُظوةً، فنسبةُ 13 % منهم يُحسنون القراءةَ والكتابة. يوجدُ عند الجزائريين نوعان معاً من التعليم: تعليمٌ عموميّ أو حكوميّ وهو أساساً بالفرنسية وتعليمٌ خاصّ بالعربية. التعليمُ العموميُّ هو نفسُه التعليم الموجود بفرنسا، لكنْ ثمةَ اختلافٌ جوهريٌّ على مستوى استقطاب التلاميذ: فتمدرس الأطفال من سن ست سنوات إلى أربع عشرة سنة ليس إجبارياً على البنات المسلمات، وهو مبدئياً إجباريٌّ فقط على البنين وإذا ما توفَّرت إمكانياتُ التمدرس فقط. إنَّ عدد الصبيّات المتمدرسات ضئيلٌ جداً وقليلٌ منهنَّ من تَلِجْنَ التعليمَ الثانويّ[19]. أمَّا تعليم اللغة العربية فغيرُ موجودٍ تقريباً. ففي الابتدائي، يُعطي مدرّسون دروساً اختياريةً في العربية بمعدل درس ساعتين في الأسبوع. وفي الثانوية، يمكن اختيارُ اللغة العربية العامية أو الفصحى كلغة أجنبية أولى أو ثانية.

وحدها الثانوياتُ الفرنسية الإسلامية (أو الفرانكو-إسلامية)، التي تمَّ تجديدُها، والتي عوّضت منذ سنة 1951 المدارسَ، تُقَدِّمُ تعليماً مزدوِجاً. وعددها أربعة: اثنان بالجزائر العاصمة، منها واحدة للفتيات، فتحت أبوابَها في سنة 1953، وواحدة بقسنطينة، وأخرى بتلمسان. لقد تكفَّلَ التعليمُ الخاص بالعربية بعدما تجاهلَها التعليمُ الحكوميّ. التعليم الأقدم والأكثر تقليداً للعربية موجودٌ في المدارس القرآنية. وهذه المدارس التي لا يمكن إحصاؤها موجودةٌ في جميع المدن وفي كل القُرى. ويتم دفع مقابل هذا التعليم حسب الرغبة أو بصفة أدق، حسب إمكانات آباء التلاميذ. بوسائل بالية جداً (يكتبُ التلاميذ، الجالسون على الأرض، على لوحة مطلية بالصلصال بواسطة

قلم قصبيّ وحِبر مصنوع بطريقة حِرفية بالصوف المحروق (الصمغ))، المعلِّمُ يُعَلِّمُ القرآنَ عن طريق تحفيظه لتلامذته عن ظهر القلب. وتسمح السلطاتُ الفرنسية بفتح هذه المدارس التي تقتصر على قراءة العربية وكتابتها عن طريق تعلُّمَ القرآن، وقواعد اللغة وتفسير القرآن، وذلك حسب مؤهلات المعلّم. إذا كانت المدارس القرآنية قد تركت آثاراً قليلةً في أذهان المناضلات القليلات المُستجوَبات اللاَّتي كُنَّ ترتديهن، فإنَّ الأمرَ ليس كذلك بالنسبة للمدارس التي تَرَكَتْ ذكرى لا تُنسى في نفوس التلميذات اللواتي استفدن من التعليم فيها. تُعدُّ المدارسُ (أو المعاهد الإسلامية) مدارسَ خاصّة تُقدِّمُ تعليماً ابتدائيّاً بالعربية. أنشأتَها جمعياتٌ ثقافيَّة ليس لها هدفٌ رِبْحِيّ وتموّلُها تبرّعاتٌ وعَطايا المسلمين الحريصين على الإبقاء على التعليمِ بالعربية.

وهذا التعليمُ ينبغي أن يُعطَى للبناتِ والبنين معاً. فقد وَضّحَ **ابنُ باديس**[20] عدةَ مرات أنَّ الصغار والكبار من الجنسين يجب أن يستفيدوا من هذا التعليم بالعربية، كعاملٌ أساسيّ للنهضة الوطنية.

"...وَسَيْراً على ما استفاضَ في تاريخ الأُمَّة، من العالمات الكاتبات الكثيرات_علينا أن ننشر العلمَ بالقَلَم في أبنائنا وبناتنا، في رجالنا ونسائنا؛ على أساس ديننا وقَوْميتنا إلى أقصى ما يمكننا أن نصلَ إليه من العِلم الذي هو تراثُ البشرية جمعاء، وثمار جهادها في أحقاب التاريخ المتطاولة. وبذلك نستحق أن نتبوّأَ منزلتنا اللائقة بنا والتي كانت لنا بين الأمم."[21] ازداد عدد المدارس(الإسلامية) بسرعة جداً، وكذلك عدد الفتيات التي ترتادهنّ.

وتُشيرُ وثيقةٌ للمندوبية العامة للحكومة الجزائرية[22] إلى أنَّ عدد المدارس الخاصَّة تغيَّرَ من 90 في سنة 1947 إلى 181 في سنة 1955، يتمدرس فيها 40 000 تلميذ[23]. فقد تضاعفَ إذن هذا العددُ في ظرف ثمان سنوات، وهذا ما يحيّر السلطات الفرنسية. للأسف، تنسحبُ الفتيات من المدارس الإسلامية عند سن البلوغ. حتى وإن كُنَّ أنهينَ الطورَ الابتدائي، فلا تستطعنَ إكمالَ دراستهنَّ، لأنَّ معاهدَ الدراسات الثانوية غير مفتوحة للفتيات.

تذكر كُلُّ تلميذات المدارس سابقاً اللَّواتي حاورناهنَّ وبتأثُّر، إخلاصَ وفقرَ المُعلِّمين الذين كان لباسُهم رثّاً أحياناً. كانتِ المناهجُ تشتملُ، بالإضافة إلى القرآن، تفسيرَ القرآن وعلومَه، وتعليمَ قواعدِ اللُّغة، والحساب، والتاريخ، وإذا وُجِدت كفاءة المُعلّمين، الجغرافيا والأدب. واقتصرَ منهاجُ التاريخ على تاريخ الإسلام. ولم يكن تاريخُ الجزائر يُدرَّسُ، بلا شكّ، لتفادي قَمْع السلطات الاستعمارية. لقد وُلِدَ الوعي الوطنيّ في المدارس الإسلامية أولاً، عن طريق تعلُّم اللُّغة العربية: تُلخّصُ **زهور**، وهي تلميذة، ثمَّ مُعلِّمة بإحدى المدارس قائلةً:

" لقد كان تعلُّمُ العربية في حدِّ ذاته التزاماً. فتعلُّمَ العربية، ومعرفة الإسلام، يُسْهِمُ في بناء شخصيَّةٍ أصيلة في مواجهة التأثيرات الخارجية. لكن بالنسبة لجميع المناضلات التي تمَّت محاورتهنَّ واللاَّتي تتلمذنَ بالمدارس الإسلامية، كانت الأناشيدُ الثورية هي التي أيقظت فيهنَّ شعورَهنَّ بأنَّهُنَّ جزائرياتٍ، وضرورة التحرّر من الاستعمار. لقد كان نشيدُ **من جبالنا**..: " **من جبالنا طَلَعَ صَوْتُ الأحرار يُنادينا للاستقلال**" أشهرَ الأناشيد الوطنيَّة. وقد كان هذا النشيدُ الذي تعلّمَتْهُ النساءُ في المدارس الإسلامية والرجالُ في المنظمات السياسية القومية خلال حرب

التحرير نشيدَ المُقاتِلين. يُنشَّدُ جَهْراً في الجبال، ويُنشَّدُ سِرّاً في البيوت، ويُنشدُهُ المسجونون لمرافقة المحكوم عليهم بالإعدام أثناء تنفيذ حكم الإعدام عليهم. ما يزالُ نشيدُ **من جبالنا** يُثيرُ الآن بعد ثلاثين سنة، في نفوس مَنْ نجا من الجبال، والمقاومة السِّرِيَّة، ومن السُّجون، ذلك الدَّفْعَ من الأُخُوَّةِ والتضحية الذي وَحَّدهم أثناء الحرب. "**من جبالنا**" نشيدٌ ألَّفه شاعرٌ جزائريٌّ، وهو **مفدي زكريا**، لكن هناك أناشيدُ كثيرةٌ أَتَتْ من الشرق الأوسط. السلطاتُ الفرنسية واعيةٌ بالتأثير الذي تمارسه المدارسُ الإسلامية، لذلك توالتْ عملياتُ إغلاقها منذ السنوات الأولى للحرب. في سنة 1957 أُغلِقَ معهدُ **ابن باديس** "بفعل النشاطات المُعادية للوطن من قِبَل هؤلاء المسؤولين، أعضاء جمعية العلماء"، وهذا ما وضَّحهُ منشورٌ للبعثة العامَّة بالجزائر[24]

3

الإقصـاء من الحياة السياسيـة

الجزائريةُ مُقصاةٌ من الحياة السياسية، من قِبَل السلطات الاستعمارية وأيضاً من الأحزاب السياسية المُعارِضة. ولا يتعلَّقُ الأمرُ حقيقة بإقصاء مُعْلَن، لكن بسلوك ماكر هو أكثر انتقاصاً لشأنهنَّ:

المرأةُ غيرُ موجودة، كأنها معزولةٌ عن الحياة السياسية. بالنسبة للسلطات الاستعمارية، الجزائرياتُ المسلمات ليس لهنَّ حقوقٌ سياسية. فقد أتى قانونُ الأحوال الجزائرية، الذي صدر بتاريخ 20 سبتمبر 1947 بالجديد موضّحاً في مادته الرابعة 4: "النساء من أصل مسلم تتمتَّعنَ بحقِّ الانتخاب. وسيحدد قرار المجلس الجزائري...كيفيات ممارسة حق الانتخاب." لكن من أجل تحديد كيفيات حق الانتخاب هذا، تطلَّبَ الأمرُ الانتظارَ إلى غاية سنة 1958 في قلب الحرب، عندما حاولت السلطاتُ الاستعمارية دون جدوى أن تَكْسِبَ النساءَ في مواجهة نضالهنَّ المفاجئ. بالنسبة لحزبيْ المعارضة السياسيين الوحيدين اللذين تشغل فيهما مكانةً صغيرة، وهما حزب الشعب الجزائري (ح.شع.ج-ح.إ.ح.د-حركة الانتصار للحريات الديمقراطية)، والحزب الشيوعي الجزائري (ح.شيو.ج)، نجد نفس الموقف. فالنساء في مرتبة أدنى داخل منظمة نسوية ذات نشاطات اجتماعية على الخصوص؛ والقليل منهنَّ يتمكّنَّ من الانخراط في الحزب، لكنَّ دورهنَّ يظلُّ ثانوياً. في الواقع، يَعْدّ كلٌّ من حزب الشعب-حركة الانتصار للحريات الديمقراطية والحزب الشيوعي الجزائري بأنَّ مشكلةَ النساء لا يمكن أن يشكِّلَ انشغالاً سياسياً في سياق هذه المرحلة. فاستبعدها الأوَّلون بعد الكفاح من أجل الاستقلال واستبعدها الآخِرون بعد ظهور الاشتراكية، لذلك لطالما أُجِّلَ التفكيرُ في وضعيتها إلى تاريخ لاحق. سواء كانوا وطنيين أم شيوعيين، فهؤلاء المناضلون هم قبل كل شيء رجالٌ ينتمون إلى مجتمع واحد يعكسون خصائصَه العميقة. لذلك فالرِّضا بوضعية ناقصـة للمرأة، حتى وإن كان لوقت محدود، يُعدُّ حُكْماً على النفس بالكفاح بنصف العدد. وعلى أرض الواقع، لا يُحصي حزبُ الشعب-حركة الانتصار للحريات الديمقراطية والحزبُ الشيوعي الجزائري، التي تُعَدّ الأحزاب الوحيدة التي تحصي في صفوفها مناضلات جزائريات، إلاَّ عددا ضئيلاً.

الهوامش:

[1]-Jacqueline Martin, «Danièle-Djamila Amrane-Minne(1939-2017), Moudjahida et historienne des moudjahidates», *Clio* [En ligne], 46 | 2017, mis en ligne le 01 décembre 2020, consulté le 28 janvier 2026. URL : http://journals.openedition.org/clio/13782 ; DOI : https://doi.org/10.4000/clio.13782

[2] -قرين، محمد وليد، https://www.almayadeen.net/investigation/1441496/من-جميلات-الجزائر--جميلة-عمران-مجاهدة-ومؤرخة (اطَّلعتُ عليه بتاريخ 28 جانفي 2026 على الساعة 20سا : 30 د).

[3] -فيلم(جميلة الجزائرية ليوسف شاهين، 1958)، كتاب(من أجل جميلة بوحيرد لجورج أرنو وجاك فيرجيس، باريس، دار نشر مينوي،1957) وأغاني(كالتي غنَّتها وردة الجزائرية، وهي جزائرية استقرَّت بمصر، سعاد محمد، وهي مصرية، والحاجة حمداوية، وهي مغربية) كل هذه الأعمال احتفت ببطولاتها وآلامها. كانت هذه حالة معزولة، فلم توجد خلال الحرب أي أغنية أخرى (كُتبت وأُدِّيت بالخارج) وكُرِّست لهذه الشخصية. ما عدا كتاب آخر رسمَ ملحمةَ شخصية، وهنا أيضاً، يتعلَّقُ الأمرُ بامرأة (جميلة بوباشا لِـ: جيزال حَليمي، باريس، غاليمار، 1062).

[4] - Jean Servier, Les portes de l'année. Rites et symboles. L'Algérie dans la tradition méditerranéenne, Laffont, Paris, 1962, p.117 (جون سيرفيي، أبواب السنة. طقوس ورموز. الجزائر في عادات البحر الأبيض المتوسط، لافون، باريس، 1962، ص.117.)

[5] -H. Genevois, « La terre. Pour le Kabyle, ses bienfaits et ses mystères », in Fichier de documentation berbère, n° 113, Fort National, 1972, p. 54

[6] - H. Genevois, « La femme kabyle. Les travaux et les jours. Texte recueillis en milieu féminin », in Fichier de documentation berbère, n° 103, Fort -National, 1969.

[7] - H. Genevois, op. cit., p.61-62 (62-61 :هـ جونوفوا، المرجع السابق ص.ص)

[8] - في الواقع يتعلق الأمر بتقييم. فجميع نساء المستثمرين الفلاحيين، تمَّ اعتبارهنَّ "مساعدات عائلات". ولا يُصرّح سوى بالعاملات الأجيرات بصفة رسمية، لكنهنّ ليست سوى 163 7.

[9] - Fadhma Aith Mansour Amrouche, Histoire de ma vie, Paris, Maspero, 1968, p. 109.

10 - Sœur Louise de Vincennes, « Vie et travaux des potières At Sma'el du Djurdjura », Fichier de documentation berbère, n° 112, Fort-National, 1971.

[11] - A. Bel et P. Ricard, le Travail de la laine à Tlemcen, Alger, Typographe Adolphe Jourdan, 1913, p.40.

[12] - A. Bel et P. Ricard, op.cit., p.45-46.

[13] - H. Genevois, op.cit., p.45-46.

[14] - حوار أُجريَ بباريس في سنة 1986.

[15] - نفسه.

[16] - Caroline Brac de la Perrière, les Employées de maison musulmanes chez les Européens à Alger pendant la guerre d'Algérie, 1954-1962, thèse de doctorat de 3 ème cycle, UER de géographie, histoire et sciences de la société, Paris-VII, 1985, p. 73.

[17] - Ibidem, P.392.

[18] - إحصاء السكان في سنة 1954. حسب نفس المصدر في القطاع الفلاحي، فقط 25 امرأة تملك مؤهلاً:19 هن أعوان تحكُّم و5 مُسَيِّرات مستثمَرات فلاحية.

[19] - ولذلك، من مجموع 971 773 من البنات من سن السادسة إلى الثالثة عشر، توجد فقط 879 82 متمدرسة في الطور الابتدائي، أي 10,7%. فهن لا تمثّلن سوى 27,3 % من التعداد الإجمالي للتلاميذ الجزائريين في الابتدائي، أي بمعدل بنت لكل ثلاث بنين. وبالكاد يتم قَبول خمسة آلاف طفل في التعليم الثانوي؛ وعن هذا الرقم، الذي هو رقمٌ ضئيلٌ بصفة غير عادية، يقلّص من حظوظ ولوج الفتيات إلى هذا التعليم. فمن بين تلاميذ المتوسط والثانوي لا نجد إلاّ نسبة 14,4 % من الفتيات. 503 منهم فقط يدخلون إلى الجامعة و22 طالبةً، اللواتي هنَّ جزءٌ منهم، تُعْتَبَرْنَ حالاتٍ استثنائيةً للغاية.

[20] - ابن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أُنشئت في سنة 1931.

[21] - ابن باديس، مجلة الشهاب، عدد أفريل 1939، ص.112، ذكره علي مراد، المرجع السابق، ص. 24(ملحوظة المترجم: لقد عدنا للنص الأصلي الوارد في مجلة الشهاب العدد المذكور، ونقلنا النص الأصلي كما هو في أصله بالعربية).

22 -« L'organisation de l'enseignement de la langue arabe en Algérie », op. cit., P. 22 et 23.

[23] -"هذه الأرقام هي تلك التي قدّمتها جريدة البصائر، وهي جريدة جمعية العلماء، التي كشفت في عددها 174/173 المؤرخ في 14 أكتوبر 1951، وجود 125 مدرسة، تحتوي على 300 قسم(صف). ويتمدرس فيها 286 16 تلميذ، منهم 696 6 بتوقيت دائم، و000 20 تلميذ من الجنسين بتوقيت جزئيّ.

[24] -L'Organisation de l'enseignement de la langue arabe en Algérie, publication de la Délégation générale du gouvernement, Alger, Imprimerie officielle, 1961.

رابط النص الأصلي للاطّلاع عليه على صفحة : Google Drive

Femmes au combat 1ère partie 25-01-2026 15.33_compressed.pdf

INFORMATIONS SUR L'OUVRAGE ORIGINAL: **معلومات عن الكتاب الأصلي:**

Femmes au combat : la guerre d'Algérie (1954-1962) / Danièle Djamila Amrane Minne
Identifiant pérenne de la notice : https://www.sudoc.fr/**253373697**

Type(s) de contenu (modes de consultation) :	Texte
Type de support matériel :	Volume
Titre :	Femmes au combat : la guerre d'Algérie (1954-1962) / Danièle Djamila Amrane Minne ; [préf. d'André Mandouze]
Alphabet du titre :	Latin
Auteur(s) :	Amrane, Djamila (1939-2017). Auteur Mandouze, André (1916-2006). Préfacier, etc.
Date(s) :	1993
Langue(s) :	français
Pays :	Algérie
Publication :	Ryadh El Feth [Algérie] : Éd. Rahma
Copyright :	© 1993
Description :	1 vol. (298 p.-[16] p. de pl.-[1] f. de pl.) : ill., portr., couv. ill. ; 22 cm
ISBN :	(Br.) :